"المتمردون على القيم والإنسانية لن يقفوا على حدود العراق والذين يحتضنون المجرمين سيدفعون الثمن حتما".عبارة مقتطعة من كلمة ألقاها رئيس الوزراء نوري المالكي من كربلاء في الخامس من ايلول عام ٢٠٠٩، اتهم فيها سوريا بشكل غير مباشر عن مسؤوليتها في ادخال ارهابيين الى العراق.
واضاف المالكي حينها "فلا يتصور أحد مهما كان لديه من قوة ومخابرات انه سيكون بمنأى عن التداعيات التي تتواصل وتتصاعد، والعالم مطالب ان يقف وقفة واحدة بوجه الشر والارهاب والجريمة".
وحذر المالكي في وقتها من انتقال الإرهابيين الذين تصدرهم دول الجوار الى دول عربية اخرى غير العراق ، حيث قال في ذلك اليوم " ماذا يمكن ان نصف احتضان القتلة مرة اخرى؟" ..."الى اين يراد تصديرهم هذه المرة؟ الى العراق مجددا؟ ام الى دولة اخرى تحتاج الى مجازر كما احتاج العراق؟ وهل ان الشر يمكن ان يطوق في بلد معين؟".

□ بغداد/ وائل نعمة - نيويورك تايمز – أفكار عن العراق / ترجمة المدى

المالكي شكا قبل أعوام من سلاح إيران بيد مسلحي سوريا

أميركا تبحث عن جواب للأسلحة الآتية إلى دمشق عبر العراق

واعتبر المالكي في حينها ان تدخل "بعض" دول الجوار بعد انسحاب القوات الاميركية "عملا عدوانيا".
وتحدث المالكي في لقاء سابق جمعه مع رؤساء البعثات الدبلوماسية العربية والأجنبية في العراق حول الأزمة مع دمشق التي اندلعت بعد اتهام حكومة المالكي دمشق مسؤوليتها بالتفجير الذي استهدف وزارة الخارجية عام ٢٠٠٩ ، مضيفا ان "الازمة مع سوريا ليست جديدة، فقد اجرينا اتصالات على مستويات متعددة مع المسؤولين السوريين حول نشاط قادة حزب البعث المنحل والمنظمات الارهابية التي تعمل ضد العراق من الاراضي السورية".
بغداد استدعت سفيرها لدى سوريا على خلفية التفجيرات الدامية، وطالبت بتسليمها اثنين من كبار قادة حزب البعث المنحل تتهمهما بغداد بالوقوف وراء تلك العمليات. وطلب المالكي رسميا من الامم المتحدة تشكيل لجنة تحقيق دولية في الاعتداء المزدوج الذي استهدف بغداد في ١٩ آب واوقع ١٠١ (قتيل) ومئات الجرحى، كما اظهرت وثائق نشرت في وقت سابق في مقر الامم المتحدة في نيويورك.
يوما ما كان العراق ينظر الى سوريا على انها تهديد مباشر بسبب دعمها للاعمال المسلحة الا انه الان يخشى مما قد يحدث اذا ما سقطت دمشق بايدي نفس اولئك المسلحين. من ٢٠٠٣ – ٢٠١٠ كانت سوريا القناة الرئيسية لدخول المقاتلين الاجانب الى العراق، حيث ساعدت الحكومة السورية في نقلهم الى البلاد و قامت باتصالات مع القاعدة في العراق و قدمت لهم الدعم اللوجستي. في عام ٢٠١٠ تحسنت العلاقات بين الطرفين مع بدء خروج القوات الاميركية من العراق، و حاولت حكومتا الاسد و المالكي تجديد العلاقات و زيادة التجارة بينهما . عندما ضرب الربيع العربي سوريا و بدأت حكومة دمشق بقمعه، بدأت حكومة بغداد بدورها انتقاد العنف و في نفس الوقت راحت تقدم الدعم للاسد، و مع تصاعد القتال و انخراط المزيد من الجهاديين و البلدان المجاورة، ازداد قلق الكثير من الاطراف في العراق الذين يرون القتال في سوريا تهديدا مباشرا للاستقرار في بلدهم اذ انهم يخشون من سقوط الحكومة السورية و من انتشار الفوضى و العنف و تسربهما الى داخل العراق . الكثير من العراقيين يرون ملامح الحرب الاهلية في سوريا و هم يريدون حماية انفسهم منها. هذه هي القوة الدافعة وراء سياسة بغداد بعيدا عن اية تأثيرات من دولة اخرى .
كانت حكومة المالكي شكت في العام ٢٠٠٩ من تهريب السلاح من سوريا وايران الى العراق ودعم الارهاب ، ونشر العراق في ذلك العام تعزيزات إضافية من قوات الشرطة على الحدود مع سوريا لمنع ما سماها عمليات التسلل، بعد اتهام حكومة رئيس الوزراء نوري المالكي لدمشق باستمرار إيواء المسؤولين عن تفجيرات ١٩ اب الدموية في بغداد. ووصف الرئيس السوري بشار الأسد حينها اتهامات الحكومة العراقية بأنها لا أخلاقية، وطالب بغداد بتقديم الدليل عليها.
وكشف وزير الدفاع السابق عبد القادر العبيدي خلال مشاركته في الجلسة الاستثنائية لمجلس النواب عن دخول أسلحة إيرانية للإرهابيين وأموال لتمويل هجماتهم كما كشف عن دخول أسلحة من دول أخرى.
تقع بغداد اليوم في دائرة الشك الأمريكي، وتتهمها الولايات المتحدة بالسماح للطائرات الايرانية بالمرور عبر اراضيها وهي محملة بالاسلحة لدعم " نظام الاسد ". وحذر ثلاثة من أعضاء مجلس الشيوخ الأميركي رئيس الوزراء نوري المالكي من استغلال ايران الأجواء العراقية لنقل أسلحة ومعدات لدعم النظام السوري. وقال الأعضاء في مجلس الشيوخ جون ماكين وجو ليبرمان و ليندسي غراهام للصحافيين خلال زيارة لبغداد، إن "طهران أخبرت رئيس الوزراء العراقي نوري المالكي أن طائرات تحمل مؤنا ومساعدات إنسانية، تعتقد الولايات المتحدة الأميركية بأنها تنقل معدات عسكرية".
صحيفة نيويورك تايمز تقول "ان ثلاثة من كبار المسؤولين الاميركان –جوزيف ليبرمان المستقل من كونيكتيكت و جون ماكين الجمهوري من اريزونا و لندسي غراهام الجمهوري من كارولينا الجنوبية– يقومون بزيارة للعراق من اجل استيضاحات بشأن الرحلات الجوية الايرانية عبر الاجواء العراقية و المشكوك بانها تقوم بنقل اسلحة الى الرئيس بشار الاسد الذي يهدد صراعه مع الثوار بجر دول الجوار الى صراع اقليمي".
و اخبر الوفد المالكي حسب الصحيفة بان العلاقات مع واشنطن ربما تتعكر اذا ما سمحت حكومته لايران باستخدام الاجواء العراقية في تسليم الاسلحة للحكومة السورية، و حث احد اعضاء الوفد حكومة بغداد على تفتيش الرحلات الايرانية . و اوضح السيناتور جون ماكين لوكالة رويترز " ان كان ذلك صحيحا فقد يكون له تأثير كبير على العلاقات العراقية – الاميركية ". و اضاف بان المالكي اخبر اعضاء الكونغرس الزائرين بانه لم يحصل لحد الان على الادلة المتعلقة بامدادات السلاح، و التي طلبها العراق عندما اثار المسؤولون الاميركان قضية الرحلات الايرانية في بداية العام الحالي . يقول ماكين " اذا كنا قد ادعينا ذلك ، فان من المشروع له ان يبحث هو عن الادلة ".
قال الناطق باسم وزارة الخارجية الاميركية في وقت سابق بان على العراق مسؤولية الاستمرار باتخاذ الاجراءات التي من شأنها ان تمنع شحن الاسلحة الايرانية عبر اجوائه ". و اضاف ان من اسهل الوسائل هي ان يطلب العراق من تلك الطائرات الهبوط لغرض تفتيشها على الاراضي العراقية.
الصحيفة الامريكية تقول ان حكومة رئيس الوزراء نوري المالكي لها علاقة وثيقة مع ايران – الحليف الرئيسي للاسد – ، و قد عارض العراق مطالبات دول الخليج العربي الخاصة بتنحية الاسد من اجل انهاء الصراع المتصاعد في سوريا . يقول العراق – الذي يخشى من تسرب الصراع السوري الى اراضيه – بانه لا يدعم جانبا محددا في الازمة السورية، الا ان قادة العراق يخافون من مجيء حكومة سورية متشددة معادية لبغداد بعد سقوط الاسد .
العراق لا يمتلك قوة جوية حقيقية منذ سقوط صدام حسين و يقول انه لا يتمكن من الدفاع عن اجوائه، الا ان مسؤولين عراقيين يقولون بعدم وجود ادلة عن رحلات ايرانية تحمل اسلحة او اية تجهيزات عسكرية . يقول علي الموسوي، المستشار الاعلامي للمالكي " لقد اكد رئيس الوزراء بان موقف العراق واضح و هو عدم السماح بتمرير اي سلاح او اي شيء له علاقة بالنشاطات العسكرية، و انه مستعد لمتابعة اي دليل على ذلك ".
من جانب آخر قالت الولايات المتحدة ان العراق لديه التزامات وفقا لقوانين مجلس الامن الدولي بايقاف و تفتيش الطائرات الايرانية التي تمر عبر اجوائه و المشكوك بحملها اسلحة الى سوريا. و يضيف مسؤولون اميركان بان الرحلات قد توقفت في شهر آذار بعد اعتراض الولايات المتحدة الا انها استؤنفت في تموز بعد تفجير ادى الى مقتل العديد من كبار مسؤولي الحكومة السورية، و اوضحت تقديرات المخابرات الاميركية بان الرحلات الجوية تحمل اسلحة و تجهيزات عسكرية الى سوريا . يقول باتريك فنتريل، وكيل الناطق باسم الخارجية الاميركية ، بان الاميركان اثاروا موضوع الرحلات الجوية مع العراقيين بأدق التفاصيل. من جانبه اكد رئيس الوزراء نوري المالكي بان الايرانيين قد اكدوا له ان الطائرات تحمل مساعدات انسانية فقط و ان على الولايات المتحدة تقديم الدليل على شحن الاسلحة . لا يوجد دليل من الجانب الاميركي فيما يتعلق بالاسلحة لحد الان، يقول الموسوي " نحتاج الى دليل ان كان موجودا لكي نتخذ اجراءات مشددة ".
التصريحات المتضاربة جعلت الطرفين متناقضين بشأن ادعاءات شحنات السلاح الايراني الى سوريا. بعد ان اثارت ادارة اوباما مخاوفها من الرحلات الايرانية بداية هذا العام، اجرى مسؤولون عراقيون محادثات مع نظرائهم الايرانيين ، فتوقفت الرحلات . لكن منذ استئناف الرحلات و ادارة اوباما تعبّر عن مخاوفها و قلقها.
في اتصال هاتفي قال السيد ماكين من العراق بانه حذر رئيس الوزراء العراقي من ان الرحلات الجوية الايرانية تشكل قضية خطيرة بالنسبة للولايات المتحدة، اما السيد ليبرمان فقد ذكر بان الرحلات – حسب علمه – مستمرة بشكل يومي ، و اضاف السيد غراهام انه اذا كانت حكومة بغداد " متواطئة مع ايران فسيكون من الصعب عليها الحصول على دعم الكونغرس فيما يتعلق بالمساعدات التقنية و برامج الاعانة"، الا انه ابلغ المراسلين في بغداد بان حكومة المالكي قد لا ترغب بالوقوف في وجه ايران بسبب تناقض المواقف حول العراق في الولايات المتحدة، و بسبب الافتقار الى قيادة أميركية.
يبدو ان الإيرانيين يحاولون دعم حكومة الأسد التي تعتبر حليفهم العربي الاساسي، الا ان حكومة السيد المالكي قد يكون لديها اسبابها الخاصة في الموافقة على هذه الرحلات، حسب قول بعض المسؤولين الاميركان، حيث يقولون ان رئيس الوزراء العراقي ربما يرى ان سقوط الأسد بمثابة انتكاسة قد تقود الى تطويقه من قبل دول عربية و الى تعزيز منافسيه في الداخل . معاونو المالكي اكدوا بانهم لا يغضون الطرف عن نقل الاسلحة الا انهم يفتقرون الى المعلومات الكافية لكي يتخذوا الاجراءات المناسبة . يقول علي الدباغ الناطق باسم الحكومة العراقية " العراق لن يسمح بنقل السلاح او المقاتلين عبر اجوائه او اراضيه الى الاطراف المتنازعة في سوريا ". الا ان احد اعضاء البرلمان العراقي المستقلين يشكك بموقف الحكومة العراقية، اذ يقول حسن العلوي " لا يمكن للحكومة العراقية ان تقول شيئا لأيران فيما يتعلق بنقل الاسلحة عبر اجوائها لأنها حكومة موالية لإيران ".
لم يذكر السيد فنتريل ما اذا كانت هناك معلومات مفصلة عن شحنات الاسلحة سيتم التباحث بشأنها مع السيد المالكي، الا انه ذكر بان العراق ملزم بتنفيذ قرارين لمجلس الامن، بضمنهما قرار ٢٠١٠ الذي يطالب الدول بتفتيش الشحنات القادمة من ايران اذا كانت هناك شكوك باحتوائها على مواد ممنوعة مثل الاسلحة . و يضيف فنتريل" نحن نتوقع من العراق ان يكون عضوا له مواقف جيدة ضمن المجتمع الدولي و كشريك ستراتيجي للولايات المتحدة و يلبي كافة التزاماته الدولية ".
المتحدث باسم الحكومة العراقية علي الدباغ قال ،في وقت سابق ، أن الحديث عن نقل إيران أسلحة إلى سوريا عبر العراق ينقصه الدليل والمصداقية، وفيما بين أن العراق لا يمتلك الإمكانية للتحقق من الشحنات التي تنقل لسوريا، وأشار إلى انه مستعد للتعاون مع المجتمع الدولي لوقف تزويد السلاح إلى أطراف النزاع هناك.
حكومة المالكي ترفض تسليح احد طرفي النزاع في سوريا بالسلاح ،ويرى احد نواب دولة القانون التي يتزعمها رئيس الوزراء نوري المالكي ان الولايات المتحدة تسعى الى دفع العراق الى تغير موقفه تجاه الازمة في دمشق.
النائب ابراهيم الركابي يقول لـ"المدى " ان " المالكي اكد ان يرفض تسليح احد اطراف النزاع في سوريا " ، متابعا " الزيارات الامريكية الى العراق تسعى الى دفع العراق لتبني موقفها "غير محايد " تجاه سوريا.
وكان رئيس الوزراء نوري المالكي حذر في وقت سابق من مغبة تسليح مقاتلي المعارضة السورية الذين يسعون للإطاحة بنظام الرئيس بشار الأسد ودعمهم ماليا، قائلا في مؤتمر صحفي عقده في بغداد ان من شأن مثل هذه الخطوة تصعيد الصراع في المنطقة ولن تؤدي إلى إسقاط النظام في سوريا في نهاية المطاف.
فيما يعتبر مراقبون ان الولايات المتحدة تحاول ان تحافظ على ماتبقى من هيبتها في العراق بعد ان تقلص نفوذها في البلاد لصالح ايران.
المحلل السياسي سعد الحديثي يؤكد لـ"المدى " ان " امريكا خسرت نفوذها في العراق منذ سنوات ، وايران حلت مكانها " ، مضيفا " الولايات المتحدة لاتريد الاعتراف بشرعية المعارضة في سوريا ولكن على اقل تقدير تريدها ان لاتدعم الاسد ".
يذكر ان حكومة المالكي اعادت علاقاتها الدبلوماسية مع سوريا قبيل انعقاد مؤتمر القمة العربية في بغداد الذي لم تحضره دمشق.وزار رئيس الوزراء نوري المالكي سوريا في عام ٢٠١٠ بعد عام من القطيعة .وعبر المالكي حينها "خلال زيارته الى سوريا" –نقلا عن بيانات صادرة مكتب رئيس الوزراء العراقي ووكالات سورية – عن شكره للاسد "على "مواقف سورية تجاه العراق وحرصها على مساعدة العراقيين في تحقيق الامن والاستقرار فيه والحفاظ على وحدته ارضا وشعبا".
واكد المالكي "حرص القيادة العراقية على اقامة افضل وأمتن العلاقات مع سورية وعلى جميع الصعد بما يتناسب مع حجم العلاقات الشعبية والاخوية التي تربط ابناء سورية والعراق".
فيما يؤكد تقرير نشر على موقع " افكار حول العراق " عند الحديث عن العلاقة بين العراق و سوريا فان الحكمة التقليدية تبين ان بغداد تدعم دمشق بطلب من ايران ، حيث كانت سوريا و لاتزال واحدا من اقرب حلفاء طهران في المنطقة و انها مهددة الان بسقوط رئيسها الاسد . كذلك فان كثيرين ينظرون للعراق على انه واقع تحت تأثير ايران بعد رحيل القوات الاميركية عن البلاد. هذا يعني ان العراق لا يمكنه التصرف باستقلالية و انه وكيل لطهران في منطقة الشرق الاوسط . هذه النظرية تسلط الضوء على المخاوف الامنية للحكومة العراقية.
ويضيف الموقع ان الموقف العراقي تجاه سوريا تدفعه المخاوف الامنية، حيث تخشى بغداد من ان يتولى السلطة في دمشق مسلحو المعارضة بعد سقوط الاسد او على الاقل تأسيس قواعد لهم هناك ، و التي من الممكن استخدامها لاحقا لتهديد العراق. فمثلا ذكر مستشار الامن القومي السابق موفق الربيعي بان الحرب الاهلية في سوريا قد تسمح للاسلاميين بتولي السلطة في سوريا، و بدورهم سيشعلون فتيل القتال في العراق و البدء بحرب اهلية جديدة. كما ادعى مسؤولون عراقيون بان افراد من الانبار و نينوى يتوجهون الى سوريا للقتال ضد النظام، و ان هناك في الانبار معسكرات لتدريب المقاتلين السوريين بالاضافة الى عمليات تجنيد في المحافظة. من جانبه حذر وكيل وزارة الداخلية عدنان الاسدي بان الاسلحة يتم شحنها الى سوريا لاستخدامها ضد الحكومة هناك بالاضافة الى الكثير من المجاهدين من دول اجنبية الذين يتوجهون الى سوريا. ثم ان حكومة بغداد و بعض المسؤولين الاميركان حذروا من استفادة القاعدة في العراق من هذا الموقف . هذه الاراء عززتها منظمة الظل للقاعدة في العراق– دولة العراق الاسلامية – التي دعت للجهاد في سوريا. يبدو ان هذه المخاوف من التهديد المتصاعد للصراع في سوريا يتردد صداها بين الكثيرين في العراق ، فلقد بث راديو العراق الحر مقابلات مع مواطنين عراقيين من كربلاء ابدوا قلقهم من استفادة الاسلاميين من الموقف في سوريا و تاثير ذلك عليهم، كما اخبر ابن احد رجال الدين في النجف الاشرف صحيفة نيويورك تايمز بان اباه يخشى من سقوط الاسد و من تأثيرات ذلك على العراق. و صرح ممثل عن آية الله السيد علي السيستاني بانه يريد بقاء الاسد في السلطة بسبب العواقب السلبية المحتملة التي يسببها سقوطه على العراق. يضاف الى ذلك ان العراق قد اتهم بلدانا كالسعودية و قطر و تركيا التي تعتقد بغداد بانها تحاول تقويض حكومة المالكي ، و تتهمها بتسليح المعارضة السورية. ان القتال في سوريا ينظر اليه من منظار الطائفية في العراق، حيث ابدى عناصر المؤسسة الدينية و الشارع مخاوفهم من سقوط الاسد و من تولي المسلحين للسلطة الذين سيلتفتون الى العراق بعد تأسيس قواعد لهم في سوريا.

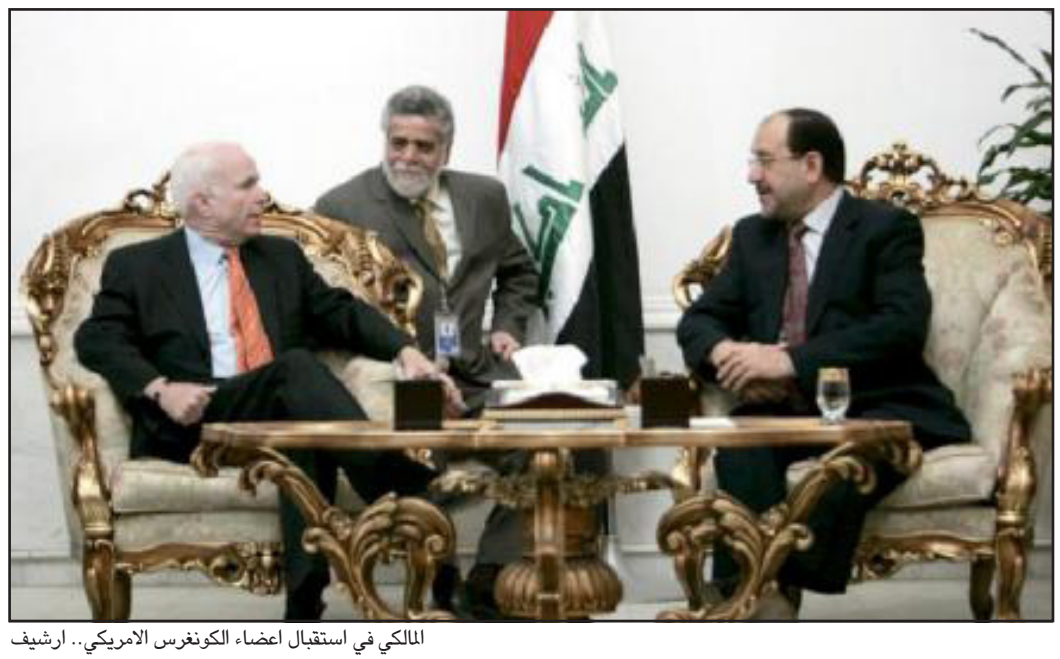
المالكي في استقبال اعضاء الكونغرس الامريكي.. ارشيف

قال السيد ماكين بانه حذر رئيس الوزراء العراقي من ان الرحلات الجوية الايرانية تشكل قضية خطيرة بالنسبة للولايات المتحدة، اما السيد ليبرمان فقد ذكر بان الرحلات – حسب علمه – مستمرة بشكل يومي ، و اضاف السيد غراهام انه اذا كانت حكومة بغداد " متواطئة مع ايران فسيكون من الصعب عليها الحصول على دعم الكونغرس فيما يتعلق بالمساعدات التقنية و برامج الاعانة".

ان القتال في سوريا ينظر اليه من منظار الطائفية في العراق، حيث ابدى عناصر المؤسسة الدينية و الشارع مخاوفهم من سقوط الاسد ومن تولي المسلحين للسلطة الذين سيلتفتون الى العراق بعد تأسيس قواعد لهم في سوريا.

مقاتلون من الجيش السوري الحر.. أ.ف.ب